الإعجاز اللغوي والبياني

أولا: مفهوم الإعجاز

أ- في اللغة:

الاعجاز في اللغة العربية هو:نسبة العجز إلى الغير. قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة: 30)

وتسمى المعجزة معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، لأنها أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة[1].

ب- في الإصطلاح: عبر عنه العلماء بعبارات مختلفة.

فهو عند (الجرجاني) في التعريفات: "أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق" [2].

وعند (الشنقيطي): "أمر خارق للعادة ،مقدر بالتحدي،سالم من المعارضة"[3]. وإعجاز القرآن معناه: إثبات عجز البشر- متفرقين ومجتمعين- عن الإتيان بمثله. وليس المقصود من (إعجاز القرآن) هو تعجيز البشر لذات التعجيز، أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، فإن ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صادق[4].

ثانيا: مفهوم الإعجاز البياني

هو أن يؤدى المعنى ببيان معجز لجميع البيانات الأخرى.

ويعرفه (الحسين زروق): "الإعجاز البياني هو إثبات عجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن ببيانه، تصديقا لنبوة محمد ﷺ، فالإعجاز البياني هو تحدي البيان القرآني للبيانات الأخرى، إثباتا لصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ [5]

1- محمد علي الصابوني، **التبيان**، مرجع سابق، ص89.

2- الجرجاني، **التعريفات**، دار الفضيلة، القاهرة،2010، ص88.

3- الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج5، ص496.

4- محمد علي الصابوني، **التبيان**، مرجع سابق، ص89.

5- الحسين زروق، **جهود الأمة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2013، ص25.

ثالثا: عناصر البيان القرآني:

حدد ذلك العلامة (عبد الله دراز) في كتابه العظيم: "النبأ العظيم" بقوله: " وحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد أسرارا من الإعجاز اللغوي.

يجد ذلك في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه، حين يسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغنائها، وفواصلها ومقاطعها، فلا تمل أذنه السماع، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

ويجد ذلك في ألفاظه التي تفي بحق كل معنى في موضعه، لا ينبو منها لفظ يقال إنه زائد، ولا يعثر الباحث على موضع يقول إنه محتاج إلى إثبات لفظ ناقص.

ويجد ذلك في ضروب الخطاب التي يتقارب فيها أصناف الناس في الفهم بما تطيقه عقولهم، فيراها كل واحد منهم مقدرة على مقياس عقله ووفق حاجته، من العامة والخاصة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: 17)

ويجد ذلك في إقناع العقل وإمتاع العاطفة، بما يفي بحاجو البشرية تفكيرا ووجدانا في تكافؤ واتزان، فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير.

وهكذا حيثما قلب النظر، قامت أمامه حجة القرآن في التحدي والإعجاز."[1].

ويمكن تحديد عناصر البيان القرآني كما يلي:

1- دقة ألفاظ القرآن:

البيان القرآني المعجز دقيق دقة ملحوظة في اختيار ألفاظه، سواء أصولها الاشتقاقية،أو سهولة حروفها وتناسقها،أو روعة ايقاعها،أو بلاغة دلالاتها.

قال الإمام (الراغب الأصفهاني) في مقدمة كتابه الفذ" مفردات ألفاظ القرآن" حول دقة ألفاظ القرآن" فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه،وعليه اعتماد الفقهاء والحكماء،في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها- وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها- هو بالإضافة إليها، كالقشور والنوى الإظافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة.."[2].وقال (د.عبد الفتاح لاشين): " لقد كان القرآن دقيقا في اختيار ألفاظه، وانتقاء كلماته..فإذا اختار اللفظ معرفة كان ذلك بسبب، وإذ انتقاها نكرة كان ذلك لغرض، كذلك إذا كان اللفظ مفردا كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كان مجموعا كان الحال يناسبه، وقد يختار الكلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في بعض الدلالة،وقد يفضل

[1]- القطان، مرجع سابق، ص ص 259-260.

[2]- راغب الاصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، دارالقلم، دمشق، ط1، 1412هـ، ص55.

كلمة على أخرى والكلمتان بمعنى واحد،وربما يتخطى في التعبير المحسن اللفظي،والجمال البديعي - على قدره وحسنه- لغرض أسمى وهو الحسن المعنوي، وكل ذلك لغرض يرمي إليه.. وهكذا دائما: لكل مقام مقال في التعبير القرآني.."[1].

إن من دقة القرآن في تخير وانتقاء ألفاظه أن معظم الألفاظ القرآنية كانت ثلاثية في جذورها وأصولها، ومن الجذر الثلاثي للفظ القرآني كانت تشق الألفاظ الاشتقاقية في تصريفاتها وحالاتها. والأفعال الرباعية المجردة نادرة في القرآن، والأسماء الرباعية المجردة نادرة أيضا.وإيثار القرآن للفظ الثلاثي لخفته في النطق، وحسن موقعه في السمع"[2].

❖ مثال من القرآن على دقة ألفاظه:

كلمة **(ضيزى)** وردت مرة واحدة في القرآن، وجذرها الثلاثي لم ترد منه إلا هذه الكلمة، وهي من أغرب الكلمات الغريبة في القرآن،لكنها دقيقة دقة عجيبة في السياق الذي وردت فيه.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ (النجم: 19-22)

فما معنى(ضيزى)؟ وما جذرها الثلاثي الذي اشتقت منه، وما دقتها في السياق الذي وردت فيه؟

ضيزى: جائرة أو ظالمة. أي قسمتكم أيها المشركون قسمة جائرة، لأنكم جعلتم لكم الذكور وجعلتم لله البنات. وجذرها الثلاثي هو (ضيز). ورد في المعجم الوسيط: "ضاز: يضيز، ضيزا، اعوج وجار. ويقال: ضاز فلانا حقه: إذا ظلمه، القسمة الضيزى هي الجائرة"[3].

وقال (الراغب الاصفهاني): قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ (النجم: 22) أي ناقصة، أصل (ضيزى) فعلي،فكسرت الضاد لتناسب الياء بعدها[4].

وبما أن (ضيزى) بمعنى: جائرة أو ظالمة فلماذا آثر القرآن هذه اللفظة الغريبة، ولم يذكر ما يقاربها وهو (جائرة)؟ ولماذا لم يقل: إذن تلك قسمة جائرة؟

علل الأديب (ابن الأثير) في "المثل السائر" الأمر تعليلا بيانيا، ولاحظ فيه مراعاة فواصل الآيات، لأن فواصل الآيات بالألف المقصورة، فالفواصل قبلها: العزى،الأخرى، الأنثى.. فجيئ بكلمة (ضيزى) مراعاة لهذه الفواصل، ولوجاءت الآية الأخرى، لاختل الإيقاع، وتأثر نظام الفواصل[5]. وتعليل (ابن الأثير)

1- عبد الفتاح لاشين، **صفاء الكلمة**، دار المريخ، الرياض، 1983، ص ص 15-16.

2- عبد الفتاح لاشين، **صفاء الكلمة**، المرجع السابق، ص13-14.

3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2008، ص547.

4- المفردات، مرجع سابق، ص 513.

5- ابن الاثير، **المثل السائر**، ج1، الحلبي، مصر، 1939، ص 229 .

لطيف ومقبول يراعي الفواصل، ويبين إيقاعها الحسن وانسجامها الصوتي الجميل، لكنه تعليل لفظي خالص، لم يلتفت إلى معنى الكلمة.

وجاء الأديب (مصطفى صادق الرافعي)، فأضاف إلى تعليل ابن الأثير اللفظي الظاهري تعليلا آخر لطيفا أيضا، لاحظ فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى وتناسبه للسياق.

بين(الرافعي) -رحمه الله- أن الآية: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ (النجم: 22) في سياق الانكار على العرب المشركين، وكان الكلام قبلها عن قسمة المشركين الأولاد، حيث جعلوا الملائكة بنات، وجعلوا البنات لله، بينما اختصوا هم بالذكور، فأنكر الله عليهم هذه القسمة الجائرة ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ (النجم: 22) إذن غرابة لفظة (ضيزى) ملائمة لغرابة القسمة الجائرة التي أنكرها السياق، وهذه الغرابة تصور في هيئة النطق باللفظ (ضيزى) الإنكار في الآية السابقة:" ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ والتهكم في الآية التي وردت"[1]: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ (النجم: 22) ومعنى كلام الرافعي أن لفظ ضيزى بإيقاعه وجرسه ومعناه الغريب، واجتماع حروفه، يصوره الإنكار في الآيات، إنكار القسمة الظالمة، التي دعا المشركون فيها البنات لله، والذكور لهم. أي السياق الذي ورد فيه اللفظ سياق غرابة موضوعية، وإنكار معنوي، فتناسب هذا الإتيان بلفظ غريب في معناه، وغريب في إيقاعه وجرس حروفه، وهذه دقة معجزة في اختيار لفظ (ضيزى)، وإيثاره على أي لفظ آخر.

2- روعة معاني ألفاظ القرآن:

معاني القرآن دقيقة وفي غاية الروعة، وسمو البيان، وبذلك يتكامل اللفظ والمعنى، ويلتقيان على تحقيق بلاغة البيان القرآني المعجز.

ويتجلى تناسق ألفاظ القرآن مع السياق الذي وردت فيه، وتلتقي مجتمعة على تقرير المعنى العام للعبارة القرآنية.

فالسياق الدقيق هو الذي يحدد اللفظ المناسب، المناسب بحروفه وجرسه، وإيقاعه، والمناسب بمعناه المتفق عليه مع معاني الألفاظ الأخرى مجتمعة.

❖ مثال من القرآن:

اسمان لأم القرى: بكة ومكة

ومن الأمثلة على روعة معاني ألفاظ القرآن اسم بلد الله الحرام (أم القرى) في القرآن. لقد أطلق القرآن عليها اسمين: "مكة" و"بكة"، لما سماها مكة أراد معنى "الملك"، ولما سماها بكة أراد معنى "البك"، وسماها بكة في سياق لا يصلح فيه تسميتها مكة.

1- الرافعي، **اعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006، ص261.

أسماها القرآن "بكة" في سورة آل عمران، بينما أسماها "مكة" في سورة الفتح.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران 96-97)

بكة مشتقة من (البك) ولم ترد هذه المادة إلا في هذا الموضع من القرآن.

قال الإمام الراغب: بكة هي مكة،وسميت بذلك من التباك، وهو الازدحام، لأن الناس يزدحمون فيه للطواف.

وقيل:سميت مكة بكة أنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم.."[1]

إذن سميت (بكة) لأنه لوحظ في هذا الاسم معنى الازدحام، والازدحام أوضح ما يكون في موسم الحج،حيث يزدحم الحجاج ازدحاما شديدا للطواف والسعي. والسياق هو الذي دفع للعدول عن اسم (مكة) إلى (بكة)، ولا يصلح أن يقول في سورة آل عمران (مكة) لأن المراد في سورة آل عمران هو معنى البك والازدحام.

إن السياق في السورة هو في الحج، فالآية التالية تحدثت عن وجوب الحج على المسلمين ﴿لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ الحجاج يتباكون في (بكة)، يبك بعضهم بعضا، ويزحم بعضهم بعضا فيها حول الكعبة.

أما (مكة) فقد وردت مرة واحدة في القرآن، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الفتح: 24)

وأطلق عليها في سورة الفتح (مكة) وليس (بكة) لأنه الاسم المشهور لها، ولأن سورة الفتح كانت بشارة بقرب فتح مكة، حيث تم فتح مكة بعد أقل من سنتين من نزول سورة الفتح.

لماذا سميت (مكة)؟ لأنها مشتقة من (المك)، والمك هو: الامتصاص، يقال مك العظم: إذا امتص مخه، ومك الفصيل ضرع أمه: إذا مصه وشربه.

وسميت(مكة) بذلك لأنها تمك ذنوب الحجاج التائبين وتمتصها وتذهبها.

فمن روعة معاني ألفاظ القرآن أنه عبر باسم (مكة) في سورة آل عمران، واسم (مكة) في سورة الفتح، وهما اسمان قرآنيان لبلد الله الحرام[2]،

1-الراغب الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 140.

2- فاضل السامرائي. **التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، ط4، 2006، ص 173- 174.

3- جاذبية إيقاع القرآن:

للبيان القرآني المعجز (إيقاع) جذاب مؤثر، وهذا الايقاع الأخاذ يدخل أذن السامع فيؤثر فيه، إذ يتفاعل وينشط ويهتز ويخشع.

وقد ذكر(سيد قطب) أن عناصر الايقاع الموسيقي في القرآن خمسة:

- مخارج الحروف في الكلمة الواحدة.
- تناسق الايقاعات بين كلمات الآيات.
- اتجاهات المد في الكلمات.
- اتجاهات المد في نهاية الفاصلة في الآيات.
- حرف الفاصلة القرآنية ذاته[1].

واعتبر د.محمد عبد الله دراز الايقاع القرآني الجذاب يقوم على عنصرين:

الأول: الجمال التوقيعي حيث قال عنه: "دع القارئ المجود يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله..ثم انتبذ منه مكانا قصيا لا تسمه فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغناتها،واتصالاتها وسكتاتها.. ثم ألق سمعك في هذه المجموعة الصوتية، وقد جردت تجريدا وأرسلت ساذجة في الهواء.. فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب لا تجده في كلام آخر. هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب، فكيف يخفى على العرب أنفسهم"[2].

الثاني: الجمال التنسيقي: قال عنه: "فإذا ما اقتربت بأذنك قليلا قليلا، فطرقت سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة، فاجأتك منه لذة أخرى، في نظم تلك الحروف ورصفها، وترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر، وذاك يصفر، وثالث يهمس، ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفس، وآخر يحتبس النفس[3]..

الإيقاع القرآني الظاهري الجميل يقوم على عنصرين هما: الجمال التوقيعي المبني على إيقاع الحروف وصوتها في الأذن، والجمال التنسيقي المبني على تناسق الحروف وتلاؤمها، واجتماعها على أداء ايقاع قرآني جذاب جميل.

- مثال من القرآن: إيقاعان جذابان في سورة النازعات، ينسجمان مع جوين خاصين تمام الانسجام.

1- سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، القاهرة، 2004، ص85.

2- محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، دار القلم، الكويت، (دت)، ص94.

3- المرجع السابق، ص87.

- **الإيقاع الأول: في الآيات الأولى من السورة، التي تتحدث عن يوم القيامة، قال تعالى:** ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا، يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ، يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ، أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً، قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ، فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ **(النازعات: 1-14)**

قال (سيد قطب) عن إيقاع هذه الآيات المتناسق مع جوها العام: " هذا الإيقاع في هذه المقطوعة،السريعة الحركة، قصيرة الموجة، قوية المبنى..ينسجم مع جو مكهرب سريع النبض،شديد الارتجاف.." [1]

حديث الآيات عن مشاهد القيامة: عن النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات، وعن الراجفة التي ترجف وتحرك الأرض عند نفخة العصق،وعن الرادفة التي تردفها وتتبعها عند نفخة البعث،وعن خروج الكفار من قبورهم خاشعين من الذل، مستغربين من بعثهم وإعادتهم للحياة بعدما كانوا عظاما نخرة،وعن شعورهم بالخسارة والهلاك، ثم زجرهم زجرو واحدة، يدفعون بها إلى الساهرة، حيث يقفون على أرض الساهرة وساحة العرض للحساب والجزاء والعقاب،الذي ينتج عنه العذاب.

هذا الموضوع يلقى جو الخوف والرهبة والرجفة، والعنف والهلع والفزع.. وهذا الجو يناسبه إيقاع سريع الحركة، قصير الموجة، قوي المبنى، وتلقى كلمات وحروف الآيات مع حركتها وجرسها وصفاتها ومداتها وغناتها هذا الإيقاع السريع المتناسب مع الجو المخيف.

- **الإيقاع الثاني: في الآيات التالية التي تتحدث عن قصة موسى عليه السلام، قال تعالى:** ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ، إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ، فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ، وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ، فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ، فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ، فَحَشَرَ فَنَادَىٰ، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ **(النازعات: 15-26)**

قال(سيد قطب) عن هذا الإيقاع المنسجم مع الجو العام:" هذا الإيقاع الثاني يظهر في هذه المقطوعة، الوانية الحركة، الرخية الموجة، المتوسطة الطول.. ينسجم مع الجو القصصي، الذي يلي مباشرة في السورة حديث الكرة الخاسرة، والزجرة الواحدة، وحديث الساهرة.." [2]

هذا الموضوع القصصي يلقي جو التأني والإخبار والعرض والسرد،وهذا الجو يناسبه إيقاع بطئ الحركة، رخي الموجة، متوسطة الطول.

1- سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، مرجع سابق، ص91-92.

2- **المرجع نفسه**، ص92.

4- جمال التصوير في القرآن:

إن البيان القرآني المعجز يستخدم طريقة التصوير في التعبير عن مختلف موضوعاته، وهذا التصوير جميل حيوي مؤثر، يضفي على البيان القرآني جمالا وحيوية، وروعة وجاذبية.

ومعنى التصوير هو أن القرآن يعرض الموضوع بطريقة تصويرية متخيلة، فعندما يقرأ القارئ الآية ترتسم في خياله صورة فنية مجسمة متخيلة للموضوع الذي تتحدث عنه الآية.والتصوير القرآني إما أن تعرضه صور الألفاظ، وإما أن تلقيه ظلال تلك الألفاظ.

- مثال من القرآن: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ، وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الحج: 19- 22)

تعرض هذه الآيات مشهدا من مشاهد عذاب الكفار في النار يوم القيامة، وهو مشهد مصور مؤثر.. ويرى القارئ مشهدا تصويريا للنار، والكفار داخلها، وتتابع اللقطات والمناظر والصور في خياله،يرى الكفار، ويسمع ما يقولون، وما يقال لهم، ويلحظ مظاهر الألم والحزن على ملامحهم، وهم وسط النار، مقدمون على ألوان جديدة من العذاب[1].

5- سمو نظم القرآن:

نظم القرآن نظم سام حيوي مشرق بليغ، وهذا النظم يجمع العناصر الأربعة السابقة وينسق بينها: الألفاظ/ ومعانيها، وإيقاعها، وصورها.

والنظم كما يراه (عبد القاهر الجرجاني) هو توخي معاني النحو وأحكامه بين كلمات الجملة القرآنية، وهذا يؤدي إلى حسن ترتيب الكلمات في الجملة،بحيث تكون كل كلمة في مكانها المناسب نحويا وبلاغيا.

وفي تحليله اللطيف للنظم القرآني السامي في آية من القرآن يقول (الجرجاني): " وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى": ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود: 44) فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلام بعضه

1- علوم القرآن وزارة التربية والتعليم ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2008، ص103.

ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقريها إلى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها؟

إن شككت فتأمل: هل ترى لفظة بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت من الفصاحة ما تؤديه، وهي في مكانها من الآية؟ قل "ابلعي" واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها.

وكيف بالشك في ذلك؟ ومعلوم ان مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض..ثم أمرت..ثم في أن كان النداء بحرف"يا"، دون "أي" نحو"يا أيتها الأرض"..ثم إضافة "الماء" إلى "الكاف"، دون أن يقال"ابلعي الماء"..ثم أن اتبع نداء الأرض-وأمرها بما هو شأنها- نداء السماء،وأمرها كذلك بما يخصها:"ويا سماء أقلعي"..ثم أن قيل:"وغيض الماء" فجاء الفعل على صيغة "فُعل" (بضم الفاء) الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر..ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى:" وقضي الأمر"..ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو قوله تعالى" واستوت على الجودي".. ثم إضمار "السفينة " قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة، والدلالة على عظم الشأن.. ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة ب"قيل" في الفاتحة.

أفترى لشيء من هذه الخصائص-التي تملؤك بالاعجاز روعة، وتحضرك عن تصورها هيبة، تحيط بالنفس م أقطارها- تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع،وحروف تتوالى في النطق؟أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟

فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في: ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها"[1].

رابعا: دراسات معاصرة للاعجاز البياني في القرآن:

- مصطفى صادق الرافعي: وهو أول من ألف كتابا في "إعجاز القرآن" من المعاصرين في كتابه:"إ عجاز القرآن والبلاغة النبوية".

- د.محمد عبد الله درازفي كتابه:"النبأ العظيم"

- سيد قطب،في كتابه" التصوير الفني في القرآن" وفي كثير من دراساته.

- د.عائشة عبد الرحمان- بنت الشاطئ – في " التفسير البياني للقرآن" و"الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق".

- الشيخ محمد متولي الشعرواي في دروسه العامة في التفسير وهي متلفزة.

- د. فاضل صالح السامرائي في "التعبير القرآني" و"بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" و"لمسات بيانية في نصوص من التنزيل".

[1]- عبد القادر الجرجاني، **دلائل الاعجاز**، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دت)، ص ص45-46.